ـ الفصل الخامس ـ

جماعة الإخوان المسلمين

1. الاسم : قال حسن البنا لأتباعه "نحن أخوة في الإسلام ومن ثم فنحن الإخوان المسلمون"

2. تاريخ الميلاد : شهر ذي القعدة عام 1347 هجريه – مارس 1928

3. الهيكل القيادي : مكتب الإرشاد ويعمل تحت إمرة المرشد العام – وهو بمثابة مجلس الشورى. لكن صالح عشماوي أحد قادة الجماعة يقول وهو يمتدح المرشد "عند أول عهدي بعضوية مكتب الإرشاد ثار البحث هل الشورى في الإسلام ملزمة أم غير ملزمة؟ أي هل يتقيد فضيلة المرشد العام برأي مكتب الإرشاد، أم أن المكتب هيئة استشارية له أن يأخذ برأيها أو يخالفه إن شاء .. وكان رأي المرشد أن الشورى غير ملزمة، وأن من حقه مخالفة رأي المكتب" ..

4. محل الميلاد : الإسماعيلية

5. طبيعة الجماعة : حرص حسن البنا على أن يضفي صبغة ضبابية على الجماعة وألا يقدم تفسيراً واضحاً لأهدافها أو طبيعتها حتى يوائم بينها وبين تقلبات الأحوال.

قال حسن البنا : "أيها الإخوان : أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسري في قلب الأمة"

.. عبارة مطاطة لا يمكن الإمساك بأي من أطرافها.

6. البرنامج : لا يوجد

سئل حسن البنا عن البرنامج فقال "ولم البرنامج ؟ إنه يفرقنا" .. واكتفى بعبارة عامة "القرآن دستورنا والرسول زعيمنا".

ولقد ظل البنا في بداية الأمر ينكر أن لجماعته علاقة بالسياسة، لكنه ما أن قوي عود جماعته حتى أعلن على صفحات مجلة النذير أن الجماعة سوف "تنتقل من دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال" وتوجه إلى أتباعه متحدثاً عن السياسيين جميعاً قائلاً "ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم". ولم يلبث البنا أن صارح الجميع بهدفه الأساسي، وهو أنه يطمح إلى الحكم ليقيم دولة دينية، وقال "الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد .. والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول .. فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء"

وأيضاً .. "الذين يقولون أن تعاليم الإسلام إنما تتناول الناحية العبادية

أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون .. فالإسلام عبادة وقيادة، دين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، ومصحف وسيف، لا ينفك أحدها عن الآخر".

وبغير ذلك لم يقل البنا .. لم يقل ما موقف جماعته من مشكلات الحياة اليومية .. ولا من الجديد فيها .. فقط عموميات لا يمكن الإمساك بشيء منها ..

7. العلامات المميزة :

تميزت جماعة الإخوان المسلمين عن غيرها من القوى السياسية المعاصرة بعلامتين مميزتين أساسيتين .. البيعة والجهاز السري.

أما عن البيعة فقد استند فيها حسن البنا إلى حديثين شريفين الأول يقول "من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية" والثاني يقول "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ونازعه فاضربوا عنق الآخر"

واستند أيضاً إلى أقوال أبو الأعلى المودودي "لا ينتخب للإمارة إلا من كان المسلمون يثقون به، وبسيرته، وبطباعه، وبخلقه، فإذا انتخبوه فهو ولي الأمر المطاع في حكمه ولا يعصى له أمر ولا نهي". ويقول أن الإمام أو الأمير من حقه أن يملي رأيه حتى على الأغلبية "فالإسلام لا يجعل من كثرة الأصوات ميزاناً للحق والباطل، فإنه من الممكن في نظر الإسلام أن يكون الرجل الفرد أصوب رأياً وأحد بصراً من سائر أعضاء المجلس"

وقد بايع الأتباع إمامهم بيعة كاملة في المنشط والمكره، وعاهدوه على السمع والطاعة.

ولم يكن حسن البنا يخفي ذلك على الناس، فهو لم يكن يقبل منهم بأقل من السمع والطاعة، دون نقاش.

أما العلامة المميزة الثانية فهي الجهاز السري الذي مارس عمليات إرهاب وقتل – كانت البداية والنموذج والقدوة للإرهاب المتأسلم. وقد تدرج الفكر التنظيمي لحسن البنا في سلاسة ويسر ليصل إلى هذا الهدف غير المعلن، فبدأ "بالجوالة" بهدف تعويد الإخوان على النظام شبه العسكري، وتدريبهم على الطاعة التامة والتفاني المطلق.

ثم كانت "كتائب أنصار الله" وهي مجموعات تضم كل منها أربعين عضواً من الأعضاء النشطين في الجماعة يلتقون معاً ليلة كل أسبوع حيث يقضون الليل في العبادة والتلاوة.

.. والعيون اليقظة تتابع ذلك لتفرز منه من يصلحون للجهاز الخاص ..

ولقد أنكر البنا طويلاً أنه يوجد ثمة جهاز خاص، ونفى ذلك نفياً قاطعاً، بل لقد وصف القائمين بأعمال النسف والتفجير والقتل عام 1948 – 1949 بأنهم "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين"

.. وظلت الجماعة على إنكارها لوجود الجهاز الخاص حتى برغم اعترافات عشرات بل مئات من أعضائه أمام محكمة الشعب، وقيل ساعتها أنها أكاذيب أمليت وترددت تحت وطأة التعذيب .. ثم لا تلبث الحقيقة أن تظهر عندما يتنافس رجال الإرهاب الإخواني القدامى في كتابة مذكرات يحاول كل منهم أن ينسب إلى نفسه أكبر قدر من القتل والإرهاب ..

8. علاقة الجماعة بالسياسة

وقد ظل حسن البنا طوال عشر سنوات كاملة ينكر أية صفة سياسية لجماعته ويؤكد في إلحاح أنه لا علاقة له بالسياسة، ولكنه ما أن شعر بالقوة وبضعف الآخرين حتى جاهر بدوره السياسي:

الدين شيء والسياسة غيره دعوى نحاربها بكل سلاح , ثم ما لبث أن قال بصراحة "أستطيع أن أجهر بصراحة بأن المسلم لا يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر في شئون أمته مهتماً بها غيوراً عليها"

لكن الأمر لا يكون مستقيماً أبداً مع الشيخ البنا. فهو يعود ليغمض القول "هل نحن طريقة صوفية، مؤسسة اجتماعية، حزب سياسي"؟ ويجيب على هذه الأسئلة بالنفي مؤكداً "نحن دعوة القرآن الحق الشامل .."

لكنه لا يلبث أن يعود ليؤكد "إن الإخوان دعوة سلفية، طريقة صوفية، هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة ثقافية، شركة اقتصادية، فكرة اجتماعية"

وحتى في المبادئ الجوهرية كان الإخوان يتلاعبون تلاعب السياسيين غير المبدئيين. فبعد أن يوجه البنا نقداً شديداً للدستور قائلاً "إن فيه ما يراه الإخوان مبهماً غامضاً يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء"، لكنه يعود فيتراجع تحت ضغط قيل أنه قد أتى من القصر الملكي ليعلن "إن الدستور بروحه وأهدافه العامة لا يتناقض مع القرآن .. وإن ما نحتاج إلى تعديل منه يمكن أن يعدل بالطريقة التي رسمها الدستور ذاته".

ويؤكد "وما كان لجماعة الإخوان المسلمين أن تنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر، ولا أن تحاول الطعن فيه .. ما كان لها أن تفعل ذلك وهي جماعة مؤمنة مخلصة تعلم أن إهاجة العامة ثورة، وأن الثورة فتنة، وأن الفتنة في النار".

ولكن لعبة السياسة عند الشيخ استمرت على هذا المنوال قول ونقيضه في آن واحد .. وإن كان الخط الثابت هو المناورة بين الجميع، والتلاعب بالجميع، غير أن الشيخ أدرك وإن متأخراً أن الجميع كانوا يتلاعبون به، بينما يتخيل هو أنه تلاعب بهم.

ولعبة السياسة عند الشيخ بلا مبادئ ولن نطيل وسنكتفي بإشارات :

1. شركة قناة السويس الاستعمارية قدمت عوناً مالياً وقبله.

2. الطاغية إسماعيل صدقي قدم له عوناً مادياً ومعنوياً كبيراً في بداية نشأة الجماعة ..

3. علي ماهر داهية القصر والموصوم بعلاقات مريبة خارجية كان الصديق الحميم للجماعة ..

4. عقد الإخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع خصيصاً للاحتفال باعتلاء "جلالة الملك العرش". وقام الجوالة بدور المنظم في الاحتفالات الصاخبة بهذه المناسبة

5. عندما اختلف النحاس باشا مع الملك وخرج الوفديون في مظاهرات تهتف "الشعب مع النحاس" في مقابلها خرجت مظاهرات الإخوان إلى قصر عابدين تهتف "الله مع الملك".

6. كتب أحد قادة البوليس تقريراً يقترح "أن تشجع الحكومة الجماعة وتعمل على تعميم فروعها في البلاد حتى يكون في ذلك أكبر خدمة للأمن والإصلاح" ويتباهى حسن البنا بذلك ويورده في مذكراته

7. وتؤكد جريدة الإخوان إن اتصالاً قد تم مع الإنجليز، وأن الطرف الإنجليزي قد أبدى استعداده لتقديم عون مالي للجماعة، وتقول أن البنا قد رفض ذلك" , ولكن باحثاً آخر يؤكد استناداً إلى ما أسماه مصدر إخواني كان على علاقة بالسفارة البريطانية "إن عوناً مالياً كبيراً قد قدم بالفعل وخاصة في غضون 1947"

ومرة أخرى نقف أمام ظاهرة محيرة: يعترف البنا أن الطاغية إسماعيل صدقي قدم عرضاً بمعاونة مالية، وأن الإنجليز قدموا ذات العرض، ويقول أنه رفض، حسناً، ولكن لم لا نسأل أنفسنا لماذا هؤلاء بالذات يعرضون مساعدة الجماعة؟

8. وهل ننسى أحداث 1946، وخروج الإخوان يهتفون للطاغية إسماعيل صدقي صائحين "واذكر في الكتاب إسماعيلاً" ؟

9. وهل ننسى تأييد معاهدة صدقي – بيفن؟

.. وبهذا نكتفي في مجال السياسة .. فكل الخطى متشابهة ..

1. عنف الإخوان

والعنف هو النتيجة المفترضة للخلط المتعمد بين الدين والفكر الديني .. وبذرته الخبيثة موجودة منذ البدايات الأولى للجماعة

.. فعندما أصدرت جماعة الإخوان مجلتها النذير، تعجل الشيخ عبد الرحمن الساعاتي (والد المرشد العام حسن البنا) في أن يجعلها نذيراً للجميع فكتب في عددها الأول مقالاً عنوانه "استعدوا يا جنود" يقول فيه: "استعدوا يا جنود، وليأخذ كل منكم أهبته، ويعد سلاحه، ولا يلتفت منكم

أحد، امضوا إلى حيث تؤمرون"، ثم يقول: "خذوا هذه الأمة في رفق فما أحوجها إلى العناية والتدليل، وصفوا لها الدواء فكم على ضفاف النيل من قلب يعاني وجسم عليل، اعكفوا على إعداده في صيدليتكم، ولتقم على إعطائه فرقة الإنقاذ منكم، فإذا الأمة أبت فأوثقوا يديها بالقيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرعوها الدواء بالقوة، وإن وجدتم في جسمها عضواً خبيثاً فاقطعوه، أو سرطاناً خطيراً فأزيلوه .. استعدوا يا جنود – فكثير من أبناء هذا الشعب في آذانهم وقر، وفي عيونهم عمى".

والعنف هنا مقصود لذاته بل هو السبيل الوحيد، فحسن البنا يقول: "وما كانت القوة إلا كالدواء المر الذي تحمل عليه الإنسانية العابثة المتهالكة حملاً ليرد جماحها ويكسر جبروتها وطغيانها، هكذا كانت نظرية السيف في الإسلام. لم يكن السيف في يد المسلم إلا كالمشرط في يد الجراح لحسم الداء الاجتماعي"

وما من مجال لسرد كل الدعاوى الإخوانية التي تقرر أن العنف والإرهاب هو أساس الدعوة .. وجوهرها، فلقد يحتاج الأمر إلى مجلدات .. فقط أدعو القارئ إلى قراءة الكتب الآتية التي أصدرها قادة بارزون من الجماعة، بل لعلهم كانوا أبرز القادة الفعليين، فهم قادة الجهاز السري الذي كرس الإرهاب المتأسلم في مصر.

2. أحمد عادل كمال – النقط فوق الحروف. ويقول فيه: جماعة دون عنف يحميها .. تهريج.

3. صلاح شادي – حصاد العمر [ويورد مئات الوقائع عن ارتكاب أعمال إرهابية].

4. عبد المنعم عبد الرؤوف – أرغمت فاروق على التنازل عن العرش [وفيه يؤكد أن الإخوان هم الذين حاولوا اغتيال عبد الناصر في حادث المنشية ويورد تفاصيل الترتيبات].

5. محمود عبد الحليم – الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ [وفيه يؤكد أن رئيس الجهاز السري للإخوان عبد الرحمن السندي هو الذي دبر قتل نائبه سيد فايز ويقول: "وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن هذه الجريمة الأثيمة كانت بتدبير السندي"

وإذ يطالع القارئ هذه الكتب أو حتى واحداً منها سيجد فيضاً من المعلومات والأدلة والاعترافات والاتهامات المتبادلة .. تكفي وتزيد لإقناعه بأن جماعة الإخوان كانت المصدر الأساسي للإرهاب المتأسلم في العصر الحديث. ولكن ليأذن لي القارئ أن نتوقف أمام كاتب إخواني من قادة الجهاز السري، نتوقف أمامه لأنه الأصرح والأوضح .. وربما الأفدح، إنه الأستاذ محمود الصباغ، ونقرأ:

يبدأ عضو الجهاز الخاص بالبيعة "يدخل إلى حجرة مطفأة الأنوار، ويجلس على بساط في مواجهة أخ في الإسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء أبيض، ثم يخرج من جانبه مسدساً ويطلب من المبايع أن يتحسسه، وأن يتحسس المصحف الشريف ثم يقول له: فإن خنت

العهد أو أفشيت السر، فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير"

ما معنى "إخلاء سبيل الجماعة منك؟" تأتي الإجابة في صفحة أخرى عندما يورد الأخ الصباغ نصوص لائحة الجهاز الخاص (الجهاز السري لجماعة الإخوان) م13 : إن أية خيانة، أو إفشاء سر بحسن قصد، أو بسوء قصد يعرض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل، واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة"

بل أنه يعطي لنفسه ولزملائه الحق في القتل المباشر دون إذن من القيادة "إن أعضاء الجهاز يمتلكون - دون إذن أحد - الحق في اغتيال من يشاءون من خصومهم السياسيين، فكلهم قارئ لسنة رسول الله في إباحة اغتيال أعداء الله". فقط نلاحظ أن "خصومهم السياسيين" هم أعداء الله ويباح اغتيالهم.

بل إن الأستاذ الصباغ يغالي فيقول "إن قتل أعداء الله (أي الخصوم السياسيين للجماعة) هو من شرائع الإسلام، ومن خدع الحرب فيها أن يسب المجاهد المسلمين وأن يضلل عدو الله بالكلام حتى يتمكن منه فيقتله"

ومادمنا في إطار الحديث عن لائحة الجهاز الخاص وعن أساليبه، فلنطالع بعضاً من أوراقه التي تم ضبطها في القضية الشهيرة المسماة "قضية سيارة الجيب". فورقة تعليمات صادرة من قيادة الجهاز لأعضائه تقول "إن كل من يحاول مناوأتهم أو الوقوف في سبيلهم مهدر دمه، وإن قاتله مثاب على فعله" و"إن من سياساتنا أن الإسلام يتجاوز عن قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة".

.. ومن أشكال العنف .. "الفتوى"، فالمفتي من أعضاء الجماعة يضع السم في الشراب ويترك الآخرين ليتجرعوه، وكمثال نورد الفتوى التالية التي كانت سبباً في موجة للاعتداء على الكنائس وإحراقها.

في مجلة الدعوة (لسان حال الجماعة) وردت الفتوى التالية حول حكم بناء الكنائس في ديار الإسلام.

ـ حكم بناء الكنائس في ديار الإسلام على ثلاثة أقسام:

الأول: بلاد أحدثها المسلمون وأقاموها كالمعادي والعاشر من رمضان وحلوان وهذه البلاد وأمثالها لا يجوز فيها إحداث كنيسة ولا بيعة.

والثاني: ما فتحه المسلمون من البلاد بالقوة كالإسكندرية بمصر والقسطنطينية بتركيا فهذه أيضاً لا يجوز بناء هذه الأشياء [لاحظ كلمة هذه الأشياء] فيها، وبعض العلماء قال بوجوب الهدم لأنها بلاد مملوكة للمسلمين.

والثالث: ما فتح صلحاً بين المسلمين وبين سكانها، والمختار هو إبقاء ما وجد بها من كنائس وبيع على ما هي عليه في وقت الفتح، ومنع بناء وإعادة

ما هدم منها، وواضح أنه لا يجوز إحداث كنيسة في دار الإسلام.

1. نظرة الإخوان إلى المجتمع

.. ومنذ البدايات الأولى حاول الأستاذ حسن البنا – وإن بحذر – أن يضع اللبنات الأولى للمفارقة بين عضو الجماعة والمجتمع حكاماً ومحكومين .. وللمفاصلة التامة بينهما بل ولتكفير المجتمع .. حكاماً ومحكومين. وإنكار ما يقوم عليه المجتمع من أسس دستورية وقانونية.

وفي رسالة التعاليم يحدد حسن البنا واجبات "الأخ المجاهد" وعددها 38 واجباً، الواجب رقم 25 منها يأمر العضو "أن تقاطع المحاكم والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة"..

والبند رقم 37 يأمره "أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك"

ويقول مفكر إخواني آخر هو الأستاذ علي جريشه "ولا خلاف في جهاد من منع بعض شريعة الله، وأولى به من منع كل الشريعة، والقعود عن الجهاد تهلكة نهى الله عنها"

وغني عن القول أن القول بتكفير كل من يقبل بالقانون الوضعي، وهو تكفير للحكم والمجتمع والمحكومين، أما القعود عن الجهاد ضد هذا المجتمع فهو "تهلكة نهى الله عنها".

دون صعوبة نكتشف أن جوهر فكرة التكفير ومن ثم "المفاصلة" مع المجتمع، والعنف ضده، قديمة قدم الدعوة ذاتها، وأن الذي أرسى أساسها هو مؤسس الجماعة ذاته .. الأستاذ حسن البنا.

والذين يتصورون أن الأستاذ سيد قطب أستاذ "التكفير" والذي انبثق من فكره كل دعاة الإرهاب المحدثون (إلى درجة أنهم يسمون بالقطبيين) كان شارداً عن خط الجماعة واهمون .. هو فقط وضع كلمات في موضعها الواضح، ولم يتلاعب بالألفاظ كما فعل سابقوه.

وسيد قطب رجل لا يعرف المساومة .. فيقول: "إن الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات: مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي"؛ والمجتمعات الجاهلية عند سيد قطب هي كل المجتمعات "الشيوعية والوثنية واليهودية والمسيحية، والمجتمعات التي تزعم أنها مسلمة", وبشكل أوضح يقول: "يدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة على الأرض".

وهو لا يعترف بإسلام المسلمين "إن الناس ليسوا مسلمين كما يدعون وهم يحيون حياة الجاهلية، ليس هذا إسلاماً، وليس هؤلاء مسلمين. والدعوة إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد".

تأملوا "لتجعل منهم مسلمين من جديد". وهو لا يعتبر أن الإسلام قائم إلا في حدود جماعته ومن ثم فهو يدعو إلى إعادة "إنشائه" قائلاً: "و ينبغي

أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية أنهم حين يدعون الناس إلى إعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولاً إلى اعتناق العقيدة، حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون، فإذا دخل في هذا الدين عصبة من الناس، فهذه العصبة هي التي يطلق عليها اسم المجتمع المسلم".

وسيد قطب ينكر أية رابطة سوى رابطة الإسلام فهو لا يعترف بالوطن ولا بالوطنية "لا رابطة سوى العقيدة، ولا قبول لرابطة الجنس والأرض واللون والوطن والمصالح الأرضية والحدود الإقليمية" "إن هي إلا أصنام تعبد من دون الله".

مرة أخرى أنه رجل لا يعرف المساومة "لا حل وسط، ولا منهج بين بين .. إنما هناك حق وباطل، هدى وضلال، إسلام وجاهلية".

ومرة أخرى هو يرفض كل المجتمعات "سواء كان اسمها حكم الفرد أو حكم الشعب، شيوعية أو رأسمالية، ديموقراطية أو ديكتاتورية، أو أتوقراطية أو ثيوقراطية" .... ما معنى ذلك كله؟ ما معنى تكفير المسلمين جميعاً .. حكاماً ومحكومين .. معناه ببساطة أنهم جميعاً مرتدون. ثم .. الإرهاب ..

وهكذا فإن الإرهاب يأتي منقاداً وبشكل طبيعي للفكرة الأولى الذي وضع بذرتها الأستاذ حسن البنا ومدها على استقامتها الأستاذ سيد قطب ..

2. موقف الإخوان من القضية الاجتماعية والطبقة العاملة

ولأن القرآن حمال أوجه. ولأنه لا ينطق وهو مكتوب وإنما ينطق به البشر كما قال الإمام علي بن أبي طالب.

فإن تلك الجماعة، التي أكدت وتؤكد أنها تتخذ من الإسلام منهجاً متكاملاً، والتي كسبت تأييداً لا بأس به لأنها تقدم تصوراً يقول أنه يستهدف تغيير النظام السياسي التقليدي في مصر تغييراً شاملاً، قد استخدمت الدين بما يحقق لها مصالحها السياسية.

ولأن الإسلام شأنه شأن أي معتقد سماوي أو فكري يمكن الدخول إليه من أكثر من مدخل. وبرغم أننا تعلمنا على أيدي مفكرين إسلاميين المدخل الصحيح نحو البعد الاجتماعي للإسلام .. مفكرين مثل رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني الذي قال "إن أول من عمل بالاشتراكية هم الصحابة" , وإلى منح كلمة الاشتراكية تعريفاً موجزاً ودقيقاً إذ قال "الاشتراكية هي التي تعطي حقاً مسلوباً للشعب العامل".

وأمثال الأستاذ الإمام محمد عبده الذي كان يرى كما يؤكد تلميذه رشيد رضا "إن تراكم الثروة لدى البعض يخلق مشاكل اجتماعية، وأن الإضرابات العمالية والمشكلات في علاقات العمل هي مجرد ثمرة لهذا الوضع".

فإن آخرين اختاروا مدخل اتخاذ الدين كسلاح في يد الرجعية وكبار الملاك والرأسماليين.

أما حسن البنا فقد وجد نفسه في مأزق حقيقي. فهو يريد أن يكسب لجماعته جماهيرية وسط جموع الفقراء. لكنه لا يريد أن يفقد مساندة القصر وكبار الملاك فاتخذ موقفاً يمكن القول بأنه "وسط" وبأنه "مرن" وبأنه يفصل بين القول والممارسة الفعلية.

واكتسب هذا الموقف مزيداً من المرونة أو بالدقة الغموض إذ رفض في الواقع إعلان أي برنامج سياسي أو اقتصادي محدد وواضح واكتفى بالعموميات مثل "القرآن دستورنا".

لكن واقع الحياة كان يفرض على الجماعة أن تحدد موقفاً من مجمل البنية الاجتماعية والاقتصادية. فاضطرت إلى ذلك واتخذت من الوسطية والمرونة سبيلاً لتلافي أي اختيار واضح وصريح بين العمال وبين مستغليهم.

يقول أحد مفكري الجماعة هو سيد قطب "أن النظام الإسلامي ليس هو الرق .. وليس هو الإقطاع وليس هو الشيوعية، أن النظام الإسلامي هو فقط النظام الإسلامي".

إن عبارة سيد قطب هذه نموج دقيق لأسلوب عرض جماعة الإخوان لأفكارها خاصة في المجال الاجتماعي فهي تكتفي بنفي صفات محددة دون أن توضح تحديداً ماذا تريد .. لكننا نلاحظ أن قطب لم ينف صفة "الرأسمالية" عن النظام الإسلامي، ربما لأنهم كعادتهم لم يريدوا تصادماً مع الرأسمالية .. فالعبارة قيلت عام 1953 حيث كان حكام يوليو ضد الإقطاع وضد الشيوعية لكنهم لم يتخذوا أي موقف ضد الرأسمالية.

ويحدد البنا قواعد للنظام الاقتصادي في الإسلام من بينها:

1. اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه.

2. تقرير حرمة المال واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

ويستند البنا في تأكيد تحريم مصادرة المال إلى الحديث النبوي "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله".

ويشير أحد مؤرخي الجماعة إلى تعمدها الحديث الغامض عن مشاكل العمال وعن حلول هذه المشاكل فيقول:

"التزمت الجماعة بالفكر والمصطلحات الشمولية ولم تلجأ إلى التحليل الطبقي.

لذلك فقد اقتصر اهتمامها بالقضايا العمالية على إظهار شعور الاستياء مما يعانيه العمال من الفقر والمرض وما يلاقونه من اضطهاد من جانب أصحاب الأعمال واكتفت بالمطالبة بتحسين أحوالهم وتشغيل العاطلين منهم"

وبعد أسبوع واحد من ثورة يوليو نشرت الجماعة ما يمكن اعتباره "برنامجاً" سياسياً واقتصادياً، ولعلها فعلت ذلك بهدف احتواء القيادة الجديدة أو تحت ضغطها. وكذلك لمحاولة كسب جماهيرية وسط الشارع المصري الذي كان ثوار يوليو ومؤيدوهم من الشيوعيين يكسبون مواقع هامة فيه.

أما "الإضراب" فهو عند الجماعة وبشكل حاسم أمر مخل بروابط الإخاء بين المسلمين ومثير للجفاء بين فرقهم.

وإذا كان البعض يرى في الإضراب سلاحاً عالمياً فإن الإخوان يقدمون أسلحة أخرى: "لابد للعامل من سلاحين هما قوة الإيمان وحسن الخلق. فتقوم الصلة بين العامل وصاحب العمل على الاحترام والعطف المتبادلين وهذه هي أنجح الوسائل"

وقد كانت معاداة الشيوعية كانت أحد هدفين أساسيين استهدفتهما الجماعة من عملها المنظم في صفوف الطبقة العاملة أما الهدف الآخر فهو السعي لنشر دعوة الإسلام في الأوساط العمالية. ولا شك أن نشاطاً من هذا القبيل قد لقي ترحيباً شديداً من جانب الحكومات والرأسماليين على السواء .. والحقيقة أن تركيز الإخوان في نشاطهم على مقاومة الشيوعية قد أوقعهم في محاذير شديدة الخطر، فدفعوا عضويتهم إلى التجسس على العمال النشطين، وعلى الشيوعيين عموماً وإبلاغ السلطات عنهم ..

وقد حاول الإخوان أيضاً "إقامة نقابات عمالية تستوحي أفكارهم وقد حققوا في ذلك نجاحاً ما ..

كذلك فقد استخدمت الجماعة مختلف أشكال الضغط لضم العمال لصفوفها، وتنشر إحدى الصحف الوفدية "أن أحد رؤساء العمال في شركة النيل بشبرا الخيمة وكان من الإخوان المسلمين حاول أن يضم أحد قادة العمال للجماعة فلما رفض فصله من العمل. وهنا قام العمال بالاعتصام في المصنع مطالبين بعودة زميلهم إلى العمل"..

.. ولعل أحد الأدلة الهامة على ضعف النشاط العمالي للجماعة أن المذكرة التفسيرية للأمر العسكري الصادر بحل الجماعة في عام 1948 تتحدث عن نشاط الجماعة تفصيلاً فتشير إلى نشاطها وسط الطلبة والموظفين والفلاحين ولا إشارة واحدة للنشاط وسط العمال .. إن ثلاثة عشر بنداً تتضمنها المذكرة تفصيلاً أنشطة الجماعة في مختلف مناحي الحياة ولا إشارة واحدة للعمال

ويفسر البعض ذلك بأن نشاط الجماعة وسط العمال كان دوماً في خدمة أجهزة الأمن وبالتنسيق معها.

1. الأدلة على عنف الإخوان

1. في يناير 1948 أعلن البوليس أنه اكتشف بمحض الصدفة مجموعة من الشبان تتدرب سراً على السلاح في منطقة جبل المقطم، وأنه بمداهمة

المجموعة – التي قاومت لبعض الوقت – ضبط البوليس 165 قنبلة ومجموعات من الأسلحة .. وقال زعيم المجموعة سيد فايز (وكان اسمه جديداً تماماً على البوليس برغم أنه كان أحد القادة الأساسيين للجهاز السري) "إن السلاح يجري تجميعه من أجل فلسطين وأن الشباب يتدرب من أجل فلسطين"، وقال "أنهم اشتروا السلاح من العرب (البدو) من أجل العرب (الفلسطينيين)" وتحت ضغوط ووساطات من الجماعة أفرج عن سيد فايز وزملائه ..

لكن أنظار البوليس بدأت تتجه ناحية شباب الجماعة.

2. وتكون الخطوة الثانية في 22 مارس 1948 عندما يقتل اثنان من الإخوان المستشار أحمد بك الخزندار، وذلك بسبب إصداره حكماً قاسياً على عضو بالجماعة سبق أن اتهم بالهجوم على مجموعة من الجنود الإنجليز في أحد الملاهي الليلية، ويكتشف البوليس الصلة بين الشابين وبين مجموعة المقطم وبين جهاز سري مسلح داخل جمعية الإخوان المسلمين .. ويقبض لوقت قصير على المرشد نفسه، ولكنه لا يلبث أن يفرج عنه لعدم توافر الأدلة. وإذا كان أعضاء الجماعة قد استنكروا الحادث علناً (كعادتهم دوماً)، فلابد أن مشاعر مختلفة كانت تهتز في داخلهم، فالجهاد حق، وهو واجب، والقتيل ارتكب جرماً في نظرهم لأنه حكم بالسجن على شاب مسلم عضو بالجماعة لأنه هاجم مجموعة من الكفرة المحتلين أعداء الإسلام .. ولعل مثل هذه المشاعر لم تكن جديدة على مصر .. فعلى أثر انتشار موجة الاغتيالات وخاصة اغتيال أحمد ماهر، وأمين عثمان، وغيرهما تحولت ساحات المحاكم كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي "إلى منابر لتمجيد القتل والجريمة"

ولم يكن هذا الحادث سوى مقدمة.

3. فقد كانت حرب فلسطين تشتعل، وإذ أسهم الإخوان المسلمون في إشعالها فقد أسهموا أيضاً – وبقدر متزايد – في إذكاء مشاعر عنصرية ضد اليهود المصريين، وحاولوا جهد طاقتهم تحويل المعركة من عرب ضد استعمار وصهيونية إلى مسلمين ضد يهود. وكان طبيعياً أن يسهم الجهاز الخاص المدجج حتى أسنانه بالسلاح، والمستفز المشاعر، سواء بسبب تعثر مسيرة القتال وخيانة الحكومات العربية العميلة، أو بسبب القبض على "أخوة الجهاد" الذين قتلوا الخازندار .. كان طبيعياً أن يسهم في إذكاء نيران التعصب الديني مستخدماً الديناميت ..

4. وفي 20 يونيو 1948 اشتعلت النيران في بعض منازل حارة اليهود، وفي 19 يوليو تم تفجير محلي شيكوريل وأركو وهما مملوكان لتجار من اليهود. وإذ توقع الهدنة الأولى في حرب فلسطين يستشعر الناس ريح الخيانة والتسليم، ويسرع الديناميت ليتكلم في الداخل ضد اليهود المصريين، بعد أن أحبطت الجهود ضد الصهيونية في فلسطين.

5. ويكون الأسبوع الأخير من يوليو والأول من أغسطس هما أسبوعي الرعب بالقاهرة حيث تتوالى الانفجارات في ممتلكات اليهود وتهتز المرة تلو الأخرى شوارع قلب العاصمة بتفجيرات عنيفة راح ضحيتها الكثيرون، وخلال أسبوعين دمرت محلات بنزايون وجاتينيو وشركة الدلتا التجارية

ومحطة ماركوني للتلغراف اللاسلكي. وفي 22 سبتمبر دمرت عدة منازل في حارة اليهود ثم وقع انفجار عنيف في مبنى شركة الإعلانات الشرقية.

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الضحايا كانوا كثيرين وأنهم جميعاً من الأبرياء ..

وكانت أعين البوليس التي استيقظت مؤخراً قد اكتشفت أحد أطراف الخيط، إذ ضبطت ترسانة سلاح ضخمة في عزبة بالإسماعيلية يمتلكها الشيخ محمد فرغلي قائد كتائب الإخوان في فلسطين ..

6. وفي 15 نوفمبر ضبطت سيارة الجيب الشهيرة .. تقول مصادر البوليس أن ضبط السيارة تم مصادفة، ولو أن الكثيرين يستبعدون ذلك، وعلى أية حال فإن واقعة سيارة الجيب قد وضعت يد البوليس في ضربة من ضربات الحظ على اثنين وثلاثين من أهم كوادر الجهاز السري، وعلى وثائق وأرشيفات الجهاز بأكمله بما فيها خططه وتشكيلاته وأسماء الكثيرين من قادته وأعضائه.

وكان البنا قد أمضى معظم شهر أكتوبر وبضعة أيام من نوفمبر مؤدياً فريضة الحج، فما أن عاد حتى تعرض للقبض عليه بمقولة وجود دليل ضده في سيارة الجيب المضبوطة، وبمقولة مسئوليته المباشرة عن حادث نسف شركة الإعلانات , وخرج البنا من السجن ليبذل جهوداً لإيقاف عجلة الأحداث محاولاً إنقاذ الجماعة من الوقوع فريسة لنظام أصبح غير راض عنها، بل وراغب في الخلاص منها ..

لكن سرعة الأحداث كانت تفوق قدرة الشيخ على الحركة ..

والشيخ الذي اعتاد المناورة بالسياسة والسياسيين وجد نفسه محاصراً تماماً عاجزاً عن الفعل، فالقصر والسعديون خلفاء الأمس القريب، والذين شجعوا الإخوان ونظروا لتحركهم باتجاه قضية فلسطين بعين الرضا بغية صرف الأنظار عن معركة الجلاء عن مصر، وعن قضايا الداخل المختلفة، بدءوا يخونون قضية فلسطين كما خانوا من قبل قضية مصر ..

والبنا الذي شحن نفوس أتباعه وإلى أقصى مدى بالمشاعر الإسلامية المتوترة تجاه قضية فلسطين يجد نفسه مطالباً إما بأن يواجه القصر والحكومة وإما أن يواجه أتباعه .. وحاول أن يتخذ موقفاً وسطاً، ولعله راح ضحية هذه المحاولة.

وقد اشتملت مذكرة عبد الرحمن عمار (وكيل وزارة الداخلية) المرفوعة إلى مجلس الوزراء بشأن طلب حل جماعة الإخوان المسلمين على قرار اتهام طويل يعيد إلى الأذهان كل أعمال العنف التي ارتكبتها الجماعة، حتى تلك التي ارتكبتها بإيعاز من السلطات ولخدمة مصالحها. فمن بين التهم الثلاث عشرة التي ساقتها المذكرة نجد:

1. أن الجماعة كانت تعد للإطاحة بالنظام السياسي القائم وذلك عن طريق الإرهاب مستخدمة تشكيلات مدربة عسكرياً هي فرق الجوالة.

2. مسئولية الجماعة عن مقتل أحد خصومها السياسيين (وفدي) في بورسعيد.

3. مسئولية الجماعة بحيازة أسلحة ومفرقعات ومتفجرات (حادث المقطم – مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلي – ضبط مصنع للمتفجرات بالإسماعيلية)

4. نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية

5. نسف العديد من المنشآت التجارية المملوكة لليهود.

6. الاعتداء على رجال الأمن أثناء تأدية وظيفتهم.

7. إرهاب أصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف الحصول على "تبرعات" و"اشتراكات" مدفوعة مقدماً لصحيفة الجماعة.

وبناء على هذه المذكرة أصدر الحاكم العسكري العام محمود فهمي النقراشي باشا قراراً عسكرياً من تسعة مواد ينص على حل وتصفية جماعة الإخوان. دارت ماكينة العنف البوليسي ضد الإخوان .. هؤلاء الذين باركوا دورانها ضد خصومهم من الوفديين والتقدميين والشيوعيين فإذا بغول الديكتاتورية يبتلعهم هم أيضاً.

والمعتقلات التي افتتحت في ظل مباركة الإخوان وتهليلهم يوم 15 مايو (أيار) 1948 (بمناسبة حرب فلسطين) والتي استقبلت خصومهم السياسيين، أخذت تتوسع كي تستقبل الألوف من أعضاء الإخوان.

1. وفي 28 ديسمبر (كانون الأول) وقعت الواقعة التي صعدت المأساة إلى أعلى قممها إذ قام طالب في الثالثة والعشرين من عمره (عبد المجيد أحمد حسن) بإطلاق رصاصتين محكمتي التصويب على رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا.

وشيع أنصار الحكومة جثمان رئيس وزرائهم هاتفين في صراحة "الموت لحسن البنا"

وأُديرت ماكينة العنف الرسمي إلى أقصى مداها، ولتتسع دائرة الاعتقالات في صفوف الإخوان فتشمل 4000 معتقل، وتعرض بعض المعتقلين لأقصى درجات التعذيب الوحشي الذي لم تعرف له مصر مثيلاً من قبل.

ولعل شكوكاً كثيرة قد ساورت هؤلاء الشبان من أعضاء الجهاز السري وهم يعانون من التعذيب الوحشي في جدوى عملية الإرهاب ضد خصومهم، وربما في مدى مشروعيتها، وفي مدى انطباق "فكرة الجهاد" على ما ارتكبوه من أعمال. ولعل فتاوي مفتي الديار المصرية، وبيانات شيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء التي تدين أعمالهم قد أثرت فيهم كثيراً.

لكن الطامة الكبرى جاءت عندما استنكر الشيخ البنا نفسه هذه الأعمال

واتهم القائمين بها بأنهم "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين"، وهنا انهار المتهمون جميعاً، فقد كان صمودهم واحتمالهم للتعذيب يستمد كل صلابته من "البيعة" التي أقسموا بها بين يدي الشيخ أو من يمثله في حجرة مظلمة .. فإذا تخلى الشيخ عنهم وعن فكرة "الجهاد" كما لقنها لهم .. فماذا يبقى؟

ومع ماكينة التعذيب كانت ماكينة الدعاية تدور لتجرم الجماعة وشيخها ومنهجها وجهازها السري.

1. فتوى مفتي الديار المصرية تدين أفعال الجماعة وتتهم القائمين بها بالكفر.

2. وبيان من هيئة كبار العلماء.

3. وبيان ثالث من الأزهر.

4. وساهم في حملة الإدانة لأعمال العنف والإرهاب الإخوانية مفكرون وكتاب يتمتعون باحترام جمهور مصر العريض.

وتحرك الشيخ المهيض الجناح في اتجاهين .. أن يسجل دفاعه عن نفسه وعن جماعته كتابة، وأن يحاول لعبة الوساطة والتنازل لعله ينقذ شيئاً من تحت أنقاض الجماعة.

وكتب الشيخ آخر رسائله "القول الفصل" وشتان بينها وبين رسائله الأولى.

يبدأ البنا "القول الفصل" قائلاً: "لقد سمع الرأي العام المصري والعربي والإسلامي قضية الإخوان المسلمين من جانب واحد، جانب الحكومة التي اعتدت على الهيئة بإصدار أمر عسكري بحلها وهو الجانب الذي يملك كل وسائل الدعاية من الصحف الخاضعة للرقابة كل الخضوع، ومن الإذاعة التي تديرها وتهيمن عليها القلة، ومن الخطباء في المساجد الذين هم موظفون حكوميون. لكن الرأي العام لم يسمع من الطرف الآخر، لم يسمع من الإخوان الذين حرموا كل وسائل الدفاع عن أنفسهم فصودرت صحفهم وعطلت أقلامهم وكممت أفواههم .. واعتقل كل خطيب لهم واعتبر اجتماع كل خمسة منهم في أي مكان جريمة أقل عقوبة لها السجن ستة أشهر. ولهذا كان من الواجب أن نتقدم بهذا البيان للرأي العام المصري والعربي والإسلامي وللضمير الإنساني العالمي حتى لا يقع في خطأ ما، ويظلم في الحكم، ويحكم بسماع خصم واحد، وقد قيل، إذا جاءك خصم وعينه مقلوعة فلا تحكم له حتى ترى خصمه فقد تكون عيناه الاثنتان مقلوعتين"

أما الأسلحة فقد كرر الشيخ مقولة أنها "للمجاهدين من الإخوان المسلمين والفلسطينيين والهيئة العربية العليا الفلسطينية، والحكومة نفسها تعرف ذلك".

واتهم البنا الحكومة أنها أصدرت قرار حل الجماعة تحت ضغط مذكرة

ثلاثية تقدمت بها كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وبعد اجتماع لممثليها الدبلوماسيين بفايد في 6 ديسمبر (كانون الأول) 1948. وطالبت المذكرة بحل الجماعة.

وبعد أن سرد البنا أسباباً عديدة أخرى منها ستر الفشل في فلسطين والإعداد لمفاوضات جديدة مع الإنجليز عاد ليركز على ما أسماه بالأصابع الخفية والدسائس "من ذوي الغايات الذين خاصموا الدعوة من أول يوم وتربصوا بها كاليهودية العالمية والشيوعية الدولية والاستعمار وأنصار الإلحاد والإباحية". وفي ختام "القول الفصل" قال البنا:

"وسنجاهد في سبيل حقنا ما وسعنا الجهاد، فإن أعوزتنا الحياة الشريفة العزيزة فلن يعوزنا الموت الكريم المجيد".

لكن "القول الفصل" بقى مخطوطاً .. ولم ير النور إلا بعد وفاة الشيخ.

قلنا أن الشيخ قد لجأ إلى الوساطة .. والصحيح أنه قد وقع في مصيدة الوساطة .. لقد استدرجوه خطوة خطوة، ليقدم تنازلاً إثر تنازل وفي النهاية اغتالوه.

1. وهكذا فعندما يتردى السياسي في هاوية التنازلات .. فلا عاصم. ويوقع البنا بياناً بعنوان "بيان للناس" استنكر فيها الشيخ أعمال رجاله ورفاق طريقه، ودمغها بالإرهاب والخروج على تعاليم الإسلام. وبعد يومين من صدور "بيان للناس" قبض على أحد قادة الجهاز السري وهو يحاول نسف محكمة استئناف مصر.

ولا يبقى للشيخ ما يقوله .. سوى أنه سيطلب تجريده من جنسيته المصرية "التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء"؟

وقرر القتلة أن يطلقوا الرصاص على جثته.

سحبوا منه سيارته ثم مسدسه المرخص ثم سحبوا الحراسة المحيطة به، واستدرجوه إلى جلسة مفاوضات أخرى أو أخيرة .. وأطلقوا عليه الرصاص.

ويبقى معلقاً للبحث الدقيق .. التاريخ الحقيقي لوفاة الإمام الشهيد المرشد العام حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي.

هل هو يوم 12 فبراير (شباط) 1949 كما هو مثبت في شهادة الوفاة ..

أم هو يوم أصدر الشيخ بيانه "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين" ..

أم هو يوم أصدر "بيان للناس" .. أم قبل ذلك بكثير ..

يوم سمح لنفسه أن يدخل ميدان السياسة من باب الموالاة للقصر .. ومخاصمة الشعب .. ؟

وقد أثبت التحقيق أن المدبر الأساسي لمقتل الشيخ حسن البنا كان الملك فاروق.

وأكد الإخوان أنفسهم أكثر من مرة أن الشيخ "قد اغتيل في يوم 12 فبراير 1949 الموافق 14 ربيع ثاني سنة 1368 هجرية .. يوم عيد ميلاد الملك السابق فاروق أحمد فؤاد فكان اغتياله هدية عيد ميلاد ملك جلب الدمار لشعبه". بل لقد وصل الأمر بالجماعة إلى أنها طلبت رسمياً من المحكمة التي عقدت في أعقاب ثورة يوليو لمحاكمة قتلة الشيخ حسن البنا، تقديم متهمين جدد على رأسهم الملك السابق فاروق وذلك باعتباره محرضاً وفاعلاً أصلياً.

ولأن القاتل الحقيقي كان فاروق على الأقل في نظر الجماعة .. فإن الباحث لا يستطيع أن يكتم دهشته – بل ما هو أكثر من الدهشة – إذ يجد في سجل تشريفات قصر عابدين يوم 14 نوفمبر 1951 .. أسماء عديد من قادة الإخوان، أتوا إلى أبواب قصر الملك، ليعربوا – مرة أخرى – لقاتل شيخهم، ربما عن ولائهم، وربما عن نسيانهم لدم شهيدهم. والتوقيعات ذات دلالة ..

خليفة الشيخ البنا .. المرشد الجديد حسن إسماعيل الهضيبي., **أقارب الشيخ البنا .. شقيقه عبد الرحمن البنا وعضو مكتب الإرشاد العام.,** **وصهره عبد الحكيم عابدين وسكرتير عام الجماعة.**

وأقرب المقربين من رجاله:

3. **صالح عشماوي.**
4. **عبد القادر عودة.**
5. **حسين كمال الدين.**
6. **محمد الغزالي.**
7. **عبد العزيز كامل.**

وكلهم أعضاء في مكتب الإرشاد العام. , وحتى السكرتير الخاص للإمام الشهيد وكاتم أسراره ورفيق رحلته الطويلة سعد الدين الوليلي أتوا به ليوقع هو أيضاً معرباً عن ولائه للملك فاروق.

وطوال رحلتنا مع هذه الدراسة، تراكمت علامات استفهام وعلامات تعجب كثيرة، وتكون علامة التعجب الأخيرة مثاراً لما هو أكثر من الدهشة .. وتساؤلاً حول مدى وفاء هؤلاء الموقعين لذكرى شيخهم وإمامهم ومرشدهم .. وحول مدى صدق ما يصيغون من تراتيل الوفاء لشيخ نسوا ذكراه على عتبات قصر قاتله!

1. **التداعيات**

وإذا كان حسن البنا هو البذرة الصالحة فإن سيد قطب هو الثمرة الناضجة .. ولم يحدث أبداً أن وجه إخواني أيا كان مرتبته أي نقد، أو شبه نقد لممارسات أو كتابات الأستاذ سيد قطب.

وسيد قطب – وهو شخصية مثيرة لجدل شديد – هو سيد عصر الإرهاب الحالي. فكل الإرهابيين المتأسلمين الذين ملئوا الدنيا قتلاً وسفكاً للدماء هم "قطبيون" أي أنهم من أتباعه.

وفي سجن طره بدأ سيد قطب في استقطاب أكثر عناصر شباب الجماعة تشدداً ليكون منهم تياراً ينتقد اعتدال البعض من رموز الجماعة، ويدعو إلى تكفير المجتمع [الحاكم والمحكوم على السواء. وكان من أبرز تلاميذه في السجن "شكري مصطفى" الذي سرعان ما كون بعد خروجه من السجن "الجماعة المسلمة" التي أسميت إعلامياً بجماعة التكفير والهجرة، ومن هذه الجماعة الشديدة التشدد والتي تعرضت لضربات قاصمة في أعقاب اختطافها للشيخ الذهبي واغتياله .. تولدت جماعات عدة لعل كل منها كان أكثر تطرفاً مما سبقه.

لكن الأستاذ سيد قطب هو صاحب نواة كرة الثلج التي تضخمت لتفرز لنا كل الإرهابيين المتأسلمين من أعضاء "جماعة الجهاد" و"الجماعة الإسلامية" وما أفرزتاه من تكوينات تالية.

ولقد يتململ بعض الإخوان من نسبتهم إلى هذه التداعيات، لكن الشيء المؤكد أن أحداً لم يجرؤ أو يتجاسر أن ينطق بكلمة نقد واحدة لفكرة أو كلمة أو فعل من أقوال أو أفعال الأستاذ سيد قطب. بل أن أحداً من الإخوان لم يوجه أي نقد أو إدانة لكل ما ارتكبه الإرهابيون من مجازر. يتنصلون منها نعم. أما إدانتها وإدانة القائمين بها أو القائلين بضرورتها فلا.

ويبقى معلقاً في عنق الجماعة كل فعل أو قول، وكل قطرة دم أريقت بأيدي المتأسلمين حتى يعلنوا براءتهم منها، ويعلنوا إدانتهم لها. والغريب أن هؤلاء المتأسلمين يسارعون من قبيل التفقه، وسد منافذ الحياة أمام الناس بتحريم عشرات الأفعال والأقوال والكتابات، لكن أحداً منهم لم يحرم حرفاً مما كتبه هؤلاء الإرهابيون الجدد ابتداءً من سيد قطب وحتى عمر عبد الرحمن وعبود الزمر وأسامة بن لادن وأمثالهم. ولم يحرم فعلاً مما فعلوا. هو فقط يقول لم أفعل.

2. تداعيات التداعيات:

ومع وجود قيادة للجماعة منغلقة على نفسها، ولا تمتلك لا الكفاءة الفكرية ولا التنظيمية التي اعتاد عليها الإخوانيون.

ومع بروز قيادات من الكوادر الوسطى اكتسبت في ظل ظروف محددة بعضاً من وجود جماهيري. وهي قيادات قدمت إلى الجماعة من صفوف "كرة الثلج" التي ولدها سيد قطب. أي من صفوف الجامعات الجهادية كما يسمونها. دخلوا الجماعة شباناً (طلاباً أو خريجين جدداً) صعدوا خطوة أو خطوتين ثم .. كفى.

فالحصون العليا في قيادة الجماعة محصنة لا يمسها إلا "المقربون": ابن المرشد المؤسس وابن المرشد التالي. أما هؤلاء الغرباء فلا مكان لهم في قمم القيادة الإخوانية. , ثم بدأت القيادة تلعب لعبة غريبة. تورط قواعدها ولا تتورط هي. هم يسجنون وهي تنجو. الأمن يقبض على الكوادر الوسطى، يحاكمها، ويسجنها، بينما "القيادة" تعيش في مأمن. ويبدو غريباً. وربما مريباً أن يقبض على مئات من أعضاء القيادات الوسطى الإخوانية بتهمة الانضمام إلى الجماعة وهي تنظيم محظور، وتكون الأدلة كتابات ومطبوعات إخوانية كتابها ومؤلفوها من أعضاء مكتب الإرشاد الذي يعيش حراً طليقاً، بل ويعلن أعضاؤه عن مواقعهم في الجماعة. فالعضو يسجن لأنه يشتبه في أنه منضم للجماعة، بينما الأستاذ مصطفى مشهور يعلن في كل يوم أنه المرشد العام .. والمستشار مأمون الهضيبي يعلن وعلناً أنه نائبه. هذا المنطق المفتقد أثار حفيظة الكوادر الوسطى، خاصة وأن المواقع القيادية قد حجبت عنها قصراً.

والجماعة تفتقد أي شكل من أشكال الديموقراطية، فأية ديموقراطية مع من بايعته "أميراً" أو "مرشداً". بايعته "على السمع والطاعة في المنشط والمكره" ومن تلقنت دوماً أنه يتحتم عليك أن "تطيعه وإن ضربك على ظهرك وبطنك"؟ وأية ديموقراطية فيما أسمي ببيعة المقابر؟ حيث وبشكل مفاجئ بويع الأستاذ مصطفى مشهور مرشداً للجماعة خلال مراسم دفن المرشد السابق .. بايعه المشيعون دون ترتيب، ودون احتراز من أن يكون المبايعون لا يمثلون الجماعة تمثيلاً حقيقياً. أو حتى لا يكونون أعضاء فيها. وأية ديموقراطية مع مرشد عام هو واحد من الرعيل الأول لمؤسسي الجهاز السري الذي يفرض طاعة مضاعفة، وخضوعاً لا نقص فيه. وهكذا بدأ التململ في صفوف الكوادر الوسطى، وظهرت تداعيات جديدة. انشقاقات من الجماعة بعضها أسمى نفسه "حزب الوسط" (تحت التأسيس) والآخر حزب الشريعة (أيضاً تحت التأسيس) وآخرون كثيرون .. متمردون صامتون، أو منسحبون دون ضجيج، أو يستعدون لذات الشيء.

لكن التداعيات ومهما حاولت أن تتزين تبقى مفعمة بثوابت الأصل. مثله، مثقلة بكل نوازعه وكل مقولاته المتأسلمة. وإن تزينت أو تجملت أو حاولت ..